صحيفة المعلقة المسلمة

العدد : ٢١٤ الموافق في رجب ١٤٢٠ هجري ١١ / ١٩٩٩ ميلادي

| جولات في كتاب : "شاعرات العرب" لعبد البديع صقر –٤ – | بقلم : التحرير |
|---|---|

# صفية بنت ثعلبة .. ومعركة ذي قار

استجارت (الحُرَقَةُ) وهي هند بنت النعمان بصفية بنت ثعلبة ، فأجارتها ، وقامت إلى قومها تعلمهم هذه الإجارة ضد كسرى وجيوشه ، بقولها :

أحيـوا الجـوارَ فقـد أماتتـه معـاً ... كـل الأعـارب يـا بنـي شـيبانِ
مـا العـذرُ ؟ قـد لقَّت ثيـابي حـرةٌ ... مغروسـة فـي الـدُّر والمَرْجـان
بنـتُ الملـوك ذوي الممالـك والعلـى ... ذاتُ الحِجَـال وصـفوةُ النعمـان
وعلـى الأكاسـر قـد أجَـرْتُ لحـرَّة ... بكهـول مَعْـشَرنا وبالـشبان
شَـيبانُ قـومي هـل قبيـلٌ مـثلُهُم ... عنـد الكفـاح وكَـرَّة الفُرسـان
لا والـذوائبِ مـن فـروع ربيعـة ... مـا مـثلهم فـي نائـب الحَـدَثان
قـوم يُجيـرون اللهيـف مـن العـدا ... ويحـاط عمـري مـن صـروف زمـاني
تَـردُ الهيـاجَ بنـو أبـي لا تتقـي ... مَـسْطى العـدو وصـولة الأقـران
إنـي حجيجَـةُ وائـلٍ وبوائـلٍ ... ينجـو الطريـد بـشَطْبةٍ وحـصان
يـا آل شَـيبان ظفِـرْتم فـي الـدنا ... بـالفخر والمعـروف والإحـسان

**فقام بنو شيبان بجوارها ، وحاربوا جنود العجم ، وكسروهم كسرة قبيحة ، وغنموا منهم مغانم عظيمة ، فقالت صفية في ذلك قصيدة ، منها :**

هـذا مقـالي وقـومي قـائلون معـي ... كمـا أقـول لـسانٌ صـادقٌ بفـم
أنا الحُجَيجةُ من قوم ذوي شرف ... أولـي الحِفـاظِ وأهـل العـز والكـرم
والعـز فـيهم قـديماً غيـرُ مُقتـرفٍ ... والجـار فـاعلم عزيـزاً دارُهُ بهـم
قولـوا لكسرى أجرنـا جـارةً فثـوتْ ... في شـامخ العِزِّ يـا كسرى على الرُّغُم

نحــن الــذين إذا قمنــا لداهيــة لــم نبتــدِعْ عنــدها شــيئاً مــن النــدم
نحــوط جارتنــا مــن كــل نائبــة ونَرْفِـدُ الجـار مـا يرضـى مـن الـنَّعَم

ثم طلب كسرى من بني شيبان أن تنزل الحرقة على طاعة منصور أحد قواد كسرى ، وهو عربي ، وهو يبرىء ذمة الشيبانيين مما فعلوا ، فقالت صفية للرسولين :

قــولا لمنــصور لا دَرَّتْ خلائفُــهُ ما صاح فيهم غراب البَيْنِ أو نعقا
مــن زوَّج الفــرس يــا متبــول قــبلكُمُ مــن الأعــارب يــا مخـذولُ أو سـبقا
إختــر عَــدِمتُكَ مــن فُــدْمٍ أخــا ثِقــةٍ فـانْطِق فأنـت أشرُّ النـاس إن نَطقا
يــا ويــح أمِّــكَ يــا منــصور إن لنــا خيلاً كراماً تصون الجار ما عَلِقا

فحاربهم المنصور فكسروه ، فأمده كسرى بجند من العرب يعدون عشرين ألفاً في أموال كثيرة ومؤن وافرة ، فلما علمت صفية بأمرهم قالت أبياتاً ذكرت فيها قبائل عربية وحثتهم على القتال ، ومطلعها :

ماذا أحاذر من عشرين يقدمهم منصور في حي غسان على نُجُبِ

فهب القوم الذين ذكرتهم في شعرها ، وتأهبوا للقتال ، وجاءتهم عساكر المنصور بجند كسرى ، فكُسِر المنصور ، وعاد إلى كسرى منهزماً ...
وجدد كسرى إرسال القوى العظيمة ، فأرسل الطميح - وهو من قواد كسرى ، وكان يضن بدماء قومه العرب أن يهدرها كسرى - سراً إلى بني شيبان يعلمهم ويحذرهم ، فأجابته صفية بقصيدة نذكر منها :

لله دَرُّك مِــنْ نــصيح صــادق والنـصحُ رأيـك أيهـا الإنـسانُ
والله يجزيــك الــذي أرســلته إن المهــيمن واصــل منَّــان
أصـبحت فـي شـيبان حـول صـنائع فلتــستعدَّ لحملهــا شــيبان
ناصـحتَهُم وشَـركْتَ فـي محـدودهم والــسرُّ عنــدك فِــيهمُ إعــلان

فلَـكَ الجـزاء بمثلهـا فـي حـادث لا تـأمننَّ وأيـن منـك أمـان
أبلـغ طميحـاً يـا رسـولُ وقـلْ لـه بـسيوفِ تَغْلِـبَ تُغْلَـبُ الأقـران
لا تجـزعن علـى ربيعـة إنهـم أهـل النـصيحة يـا فتَّـى شـيبانُ

ثم قالت لقومها أتستقيمون وتصبرون ، أم استجير لي ولجارتي بقبائل غيركم ، وأريكم العز الأعز ؟؟ وقالت :

مـاذا تـرون بنـي بكـر فقـد نزلـتْ كِبْـرُ الـذوائب والأخـرى علـى الأثـر
أتـصبرون لـشعواء مُلَمْلمـةٍ فيهـا الأعـاجمُ بالنُّـشَّاب والـوتر
أم لـستمُ أهـلَ صـبرٍ فـي لوازمهـا عنـد الحفـائظ والجـارات والخَفَـر
إنـي أجَرْتُ بكـم يـا قومُ فاصطبروا فالـصبر يَحْلُـلُ فـوق الأنجـم الزُهُـر
إيهـاً أجيبـوا بنـي بكـر حُجَيْجَـتَكُم ماعنـدكم ويحكـم مـن غايـة الخَبَـر
يـا أيهـا الـشُّمُّ أنـتم حـافظوا ذِممـي وأنـتمُ فلعَمْـري العـزُّ مـن عُمُـري
إمـا صـبرتم فـلا أدعـو لغيـركم وإن جـزعتم أنـادي كـلَّ ذي حُـضُر
بكـل سـام إلـى الهيجـاء ذي شـرف واري الزنـادِ كـريم الجـد مـن مـضر
ذي مِـرَّةٍ لا يخـاف الجندَ إنْ كثروا فـي سـادة قـادة معروفـةٍ صـبر

فأجابها قومها إلى طلبها ، فلما قدموا أقبلت صفية على قومها تحرضهم وتشجعهم فرقة فرقة ، وقبيلة قبيلة .

فخاطبت بني حنيفة بقولها :

إيهـاً أجيـدوا الـضرب ياحنيفـهْ فـأنتم الجمجمـة الـشريفهْ
أهـلَ اللقـا والعمـدة المعروفـه والعـدَّة المنـسوجة الموصـوفه
حـامي علـى أعراضـك النظيفـه الطـاهراتِ ويحـك العفيفـه
إن الجنـود حـولكم كثيفـه فـلا تَهَلْكُـمْ وتـزدْكمْ خِيفـه

لُجَـيْمُ قـومي وبنـو أبينـا ليـسوا لـدى الهيجـا مُغَلَّبينـا

بــل ظــافرون وحمــاةٌ فينــا العــزُّ فــيهمْ حــين يُلجِمونــا
ويــسرحون ثــم يحملونــا إيهــاً بنــي الأعمــامِ فانــصرونا

ثم أقبلت إلى بني عجل وفيهم ابوها وأخوها ، فقالت :

الفخــر فخــري بــسراة عجــل همْ معشري فـي نجدهم والسهل
هــمُ الــسَّراةُ وحمــاة الأهــلِ والفــائقون بــشريف الفعــل
والمنعمــون بــشريف البــذل والنــاقمون بعــريض الرِّجْــل
إيهــاً أبيــدوا جمعهــم بالقتــل ولا تكونــوا غرضــاً للنَّبْــل

واختلطوا فيهم بغير مهل

وأقبلت إلى بني ذهل وأنشأت تقول :

اليــومَ يــومُ العــزِّ لا يــومُ النــدم يــومَ رمــاح وجيــادٍ وخــدمْ
يــومٌ بــه الأرواح جهــراً تُــصطلمْ سوف ترى البيض غداةَ المبتسم
للوائِلِيّــات التــي تحمــي الــبُهَم يــا آل بكــر لا تَهَلْكُــمُ العجــم
مــن الــذي يحمــي الخيــام والــنعم ومــن يطــاعن تحــت سِربال القتم

إن صَبَرتْ ذُهْلٌ فعِزِّي اليوم

ثم جاءت إلى بني شيبان ، فسارت وهم من خلفها وهي تقول :

إيهــاً بنــي شــيبان صــفاً بعد صــف مــن يُــردِ العليــاءَ لــم يخــشَ التلــفْ
مــن حــاذر المــوت تنحــى ووقــف إن الــشجاع باســلٌ فيــه الــصَّلَف
إن تقبلــوا نظفــر ونحــذر ونخــف وفــي الفــرار يولجــوا فينــا الأكــف
اليوم يوم العزّ موصوفُ الشرف إنْ حافظتْ قومي فما بي من أسف
أنا ابنــة العز وعرضي اليوم عف بكــل نــصل كالــشهاب المختطــف

**نخطفُ قوماً قد عفونا بسرف**

**وحمل العرب على جنود كسرى ، وكان لهم النصر في هذه الواقعة : وقعة « ذي قار » .**